

"التنمر" الأمريكي على السودان

نهلة



الشغال

الاثنين 26 أكتوبر 2020 05:02 ص

"التنمر" الأمريكي على السودان

تحتاج إسرائيل التي تصف نفسها بانها "شركة مبادرات" استعمارية وعسكرية بالقدر نفسه التحالف مع الإمارات. لا تزال الصعوبات الحياتية المستمرة بل المتفاقمة تطغى وتنتشر المظاهرات المنددة بتقاعس السلطة والخائبة مما أنجز. جُوع شعب السوداني بشكل متعمد وواعٍ ومقصود، واليوم تقوم واشنطن بابتزازه بشكل علني بـ"الطعام مقابل التطبيع مع إسرائيل"! الإمارات تستثمر في عدوانيتها وفي تحالفها الوثيق مع إسرائيل وتعد شراكة استراتيجية مع إسرائيل وهذا "طبيعي" بل إجباري. الإمارات تحلم بأن تكون إمبرطورية فلا يهم أن لا مساحتها ولا ديموغرافيتها يؤهلانها لذلك وأنها لا تملك فعلياً لا نفطها ولا غازها ولا ثرواتها. وهي تمدد نفوذها في اليمن وتستولي على جزيرة سقطرى بعد عدن، وتقيم قواعد عسكرية ومشاريع في بلدان القرن الإفريقي، وتتدخل في ليبيا...

* * *

"التنمر" هو التعبير الذي استخدمه يوناتان توفال، كبير المحللين بـ"المعهد الإسرائيلي للسياسات الخارجية الإقليمية" في مقال نشره في صحيفة هآرتس، لوصف المسلك الأمريكي الضاغظ على السودان من أجل إعلان موافقته على تطبيع علاقاته مع إسرائيل. الإسرائيليون أنفسهم باتوا يخشون من النتائج العكسية لهذه الضغوط العلنية، المتعجلة والفجة، والتي من فرط إلحاحها لا تهتم بمراعاة حتى الشكليات الدبلوماسية. وهي بالطبع لا تكتفئ أبداً بالنتائج المترتبة عليها داخل الاجتماع السوداني من جهة، الذي ما زال منتفضاً يطالب بتحقيق ثمار ثورته، وبما يخص الصراع الصامت بين الجناحين العسكري - المجلس العسكري الذي استلم السلطة بعد عزل البشير - والمدني المتمثل بـ"قوى إعلان الحرية والتغيير". وهما يُسيّران بمشقة دفة "الرحلة الانتقالية" التي بدأت في تموز / يوليو 2019، وتستمر لثلاث سنوات ونصف. مضى على وجود السودان على لوائح الدول الراعية للإرهاب 27 عاماً، تسببت بتعظيم إفقار هذا البلد المتنوع بشكل مدهش وعلى كل الصعد، بالغ الثراء والإمكانات، مترامي الأطراف، ومحدود عدد السكان.. أي الذي يمتلك كل الميزات التي كان يُفترض أن تجعل أهله ميسورين ومحققين لذواتهم الفردية والوطنية.

لكن التآجيج المقصود على الأغلب للصراعات العرقية والدينية والجهوية، كوسيلة بائسة في إدارة الحكم وفي التحكم (وصولاً لانشطار البلد واستقلال جنوبه)، استنزف البلد الجميل، ونمى ميليشيات نهابة وإجرامية، ما زالت تُرهب الناس بعد الذي ارتكبه من مجازر بحقهم، وما زالت تغرف الخيرات، وتصدرها لصالح "بارونات" أو مكونات معلومة.

وهناك بالطبع، وعلى ذلك من أسباب الافقار، سوء الإدارة وضيق الأفق وعدم الاكتراث بالمصلحة العامة..

واشنطن كانت قد وعدت الرئيس المخلوع برفع اسم السودان عن لوائح الإرهاب تلك، وماطلت ولم تفعل، ثم طالباها الحكم الجديد بتنفيذ تعهداتها فلم تفعل، إلى أن بدأت بالجاهرة بشرطها الغريب: التطبيع مع إسرائيل.

وحركت لهذه الغاية كل خدماها: أوغندا، حيث جرى لقاء البرهان بنتياهو في عنيني، ثم الإمارات التي تمتلك مع الجناح العسكري في الحكم السوداني علاقات مميزة منسوجة من شبكات تهريب الذهب المنهوب من كل السودان.

وبالخاص من شمال دارفور، وكذلك سواه من "التجارات"، مما يجعلها تتفوق على علاقات هؤلاء العسكر بالسعودية مثلاً، التي "تشجع" الخرطوم هي الأخرى على التطبيع مع إسرائيل، بينما تحجم عن الهرولة إلى تل أبيب كما فعلت أبو ظبي.

لقد تم تجويع الشعب السوداني بشكل متعمد وواع ومقصود، واليوم تقوم واشنطن بابتزازه بشكل علني بالطعام مقابل التطبيع، بينما تطغى الصعوبات الحياتية المستمرة بل المتفاقمة، وتنتشر المظاهرات منددة بتقاعس السلطة، وخائبة مما أنجز.

وكل ذلك يفطر القلب.

ولكن وبغض النظر عن هذا الجانب، فهناك أمران يبرزان من خلال هذا المشهد المأساوي: الدور الذي تضطلع به إدارة ترامب - بومبيو في خدمة الرغبات الإسرائيلية كما يصوغها نتنياهو، بعدما انتهت أوهاام "التسوية التاريخية" وأوسلو وحل الدولتين.

ولا يكفي لتفسير السياسة الأمريكية الاعتداد بالانتماء الى تيار إنجيلي "خلاصي" لترامب وبالمعتقدات الخرافية لهؤلاء. فكيف يتاح للإدارة الأمريكية أن تُبتذل إلى حد توظيف مكانتها "العظمى" في هذا الشق الضيق؟

لطالما كانت الإدارات الأمريكية منحازة بشكل صارخ لإسرائيل، ولكن الأمر هنا يكتسي طبيعة أخرى تتجاوز الانحياز. وما صلة هذا المسلك بمجمل خاصيات السلطة الأمريكية الحالية، المطبوعة بالابتذال والكذب والتهريج، والتي يرى باحثون أنها صارت "سمة العصر"... وهي على أية حال وبالتأكيد تغتير تعريف السياسة والعلاقات الدولية.

... والدور الذي تضطلع به الإمارات العربية المتحدة، التي تقلد هؤلاء الأمريكان في الصفاقة والرغبة بالإدهاش وإحداث الصدمة. والإمارات بالطبع لم تكن لتذكر لولا الانهيار التام القائم في المنطقة، والذي شطب بلداناً كمصر والعراق وسوريا، وأوقع السعودية بكل ثقلها والدهاء الموصوف للوكها وشخصياتها، بين يدي شاب أحمق يُقال إن محمد بن زايد الإماراتي يسيّره كما يشتهي.

الإمارات تحلم بأن تكون إمبرطورية. لا يهم أن لا مساحتها ولا ديموغرافيتها يؤهلانها لذلك وأنها لا تملك بشكل فعلي لا نفطاً ولا غازاً ولا ثروات.

الإمارات تستثمر في عدوانيتها وفي تحالفها الوثيق مع إسرائيل. وهي تمدد نفوذها في اليمن، وتستولي على جزيرة سقطرى بعد عدن، وتقيم قواعد عسكرية ومشاريع في بلدان القرن الإفريقي، وتتدخل في ليبيا...

ولكي تفعل، فهي تعقد شراكة استراتيجية مع إسرائيل، وهذا "طبيعي" بل إجباري، ولولاه لما تمكنت. كما تحتاجه وبالقدر نفسه إسرائيل التي تصف نفسها بانها "شركة مبادرات" (startup)، استعمارية وعسكرية.

ها أن مراجع التحليل السياسي والسوسيولوجي المعتاد لم تعد نافعة، وصار لزاماً ابتداع علم جديد، وحده الله يعلم ما سيكون اسمه، ولكن من المؤكد أنه يتطلب معرفة وثيقة بالأمراض النفسية، وبسجلات المصحات العقلية..

مسكين السودان!

* نهلة الشهال كاتبة وناشطة لبنانية رئيسة تحرير "السفير العربي".